المحاضرة السادسة:

الشعر الاجتماعي والسياسي

.....

مع توالي سنوات الاحتلال واحتفال فرنسا بمئوية دخولها للجزائر، "أدرك الإصلاحيون خطورة تحول الوجود الفرنسي من احتلال عسكري متسلط إلى استعمار مقيم، أخذت ثماره تظهر بوضوح مهددة بالفعل الكيان الجزائري. وقد وعى الشعراء هذا فتحولوا من متفجعين ومحمّسين على الجهاد، إلى أصحاب دعوة للوعي السياسي والقومي. وتأثر هؤلاء الشعراء بزملائهم في المشرق، أمثال محمود سامي البارودي (1840–1904) وأحمد شوقي (1868–1932) وأحرز هذا الشعر في هذه المرحلة تطورا من ناحية الصياغة والمضمون. ويعود ذلك إلى تحسن الحركة التعليمية وتعزيز الصحافة الوطنية والجمعيات والأندية للغة العربية، ولكنه يبقى يفتقر إلى متانة السبك وإلى التنوع وإلى الموهبة المجددة".

يظهر المنحى السياسي في البداية مع ظاهرة إلحاق الشعراء الجزائريين أسماءهم وألقابهم بجنسيتهم الجزائرية، للإشعار بأنهم وطنيون جزائريون، على حد تعبير صالح الجابري، كما أن انتماءهم هو ضرب من الفخر، "إن الهدف البعيد للموجة الحادة التي حملت معظم كتَّاب وشعراء المرحلة الأولى، ثم المرحلة الثانية على أن يصروا على إلحاق نسبتهم الوطنية بهم، لم يكن التباهي بالانتماء للجزائر فقط، أو شعورا بالذاتية مبالغ فيه، ولكنه توجه سياسي واضح ليقرأ المستعمر من خلاله حساباته الخاطئة بالقضاء على الكيان الجزائري وإذابة الشخصية الجزائرية، وليرى فيه القارئ العربي والسياسي العربي ما كان يريد من الاطمئنان على الجزائر ومستقبلها" بعد رواج الشكوك حول وجود الجزائر وقدرتها على الصمود أمام هيمنة الشخصية والثقافة الفرنسية الرائجة.

ومن أهم القضايا التي عالجها الشعر السياسي الجزائري:

التحذير من وهم الإندماج:

يعد الاندماج من بين أهم القضايا التي تطرق لها الشعر السياسي الجزائري، حيث راح الشاعر الجزائري يحذر من المتآمرين على الشعب، ممن بث فيه أنه لا وجود لكيان اسمه الجزائر، ولا وجود للعربية، كما زينوا له لسان المستعمر وفوائد الاندماج والتخلي عن الشخصية الجزائرية، مما جعل الشاعر "مفدي زكريا" يحذر من خدعة الاندماج، ويذكر باستقلال الوطن الجزائري، وجذوره الممتدة في التاريخ، يقول:

فَلَسْنَا نَرْضَى الإِمْتِزَاجَا ..... وَلَسْنَا نَرْضَى التَّجْنِيسَا

وَلَسْنَا نَرْضَى الإِنْدِمَاجَا ..... وَلاَ نَرْتَدُّ فَرَنْسِيسَا

رَضِينَا بِالإِسْلاَمِ تَاجًا ..... كَفَى الْجُهَّالَ تَدْنِيسَا

فَكُلُّ مَنْ يَبْغِي اعْوِجَاجًا ..... رَجَمْنَاهُ كَإِبْلِيسَا

التنديد بلاعدالة السياسة الدولية:

وفي قصيدة أخرى، يؤكد على غياب العدل في السياسية الدولية في ضياع حقوق أهل الوطن، وتنعم المحتل بخيرات الوطن، مقابل الجوع والفقر لأهل البلد:

أمن العدل صاحب الدار يشقى ودخيل بها يعيش سعيدا

أمن العدل صاحب الدار يعرى وغريب يحتل قصرا مشيدا

ويجوع ابنها فيعدم قوتا وينال الدخيل عيشا رغيدا

ويبيح المستعمرون حماها ويظل ابنها طريدا شريدا

الشعر والنيابة والأحزاب:

أبان الشعراء الجزائريون عن وعي سياسي كبير في حديثهم عن النيابة والانتخاب والأحزاب، مع العلم أن الاستعمار قد أغلق باب التمثيل النيابي في وجه الجزائريين، ولم يفتحه حتى ضمنه ممثلا لمصالحه وبوقا لأغراضه وعينا على الحركة الوطنية، ولم يترك الأحزاب لتؤدي دورها السياسي، "وإنما سخّ رها لتمزيق وحدة الشعب، فكان أثرها السلبي على هذه الوحدة يفوق أثرها الإيجابي في دفع الحركة الوطنية.

وحين تألفت الأحزاب ودخلت معارك الانتخاب جعلت السلطات الفرنسية ذلك مجالا للصراع الدموي بين المواطنين، وملهاة للمحترفين السياسيين الذين يلهثون وراء كراسي النيابة لخدمة مصالحهم الشخصية أو مصالح الاستعمار، وطالما كان ذلك موضع سخرية من طرف الشعراء لاسيما محمد العيد ومفدي زكريا، يقول محمد العيد في هذا المجال متهكما بالنواب الذين وصلوا إلى مناصبهم باسم الشعب، ويفضح تناقضهم الصارخ بين الوعود البراقة أثناء الدعاية الانتخابية، والتنكر لهذه الوعود بعد الجلوس على الكراسي، ويتخذ من ذلك ذريعة ليكشف نوايا الاستعمار لتعطيل التعليم وتجهيل الشعب الجزائري:

أفدني برأي في النيابات هل حوت أساود في قاعاتها أم وسائدا؟

وإلا فما تلك السموم التي سرت فمن ذاق منها طأطأ الرأس هامدا؟

فيا نائبا ناب البلاد بحادث فخلّف شعبا قائما فيه قاعدا

على أي ظهر كنت سوطك منزلا وفي أي نحر سيفك كنت غامدا؟

وما لك ترغي في النيابة موعِدا ألم تك من قبل النيابة واعدا؟

وفي القصيدة إظهار لوعي سياسي كبير بخبايا الاستعمار الذي يُزوِّر الانتخابات باختيار فئة من النواب سهلة الانقياد لمطالبه خاضعة لإغراءاته، يستخدمها لتمرير سياسته الخبيثة، في محاربة عناصر هوية الشعب الجزائري من دين ولغة، وحرمان

هذا الشعب من نور العلم الذي يبصِّر النفوس بالحقّ، ويعمل على ترك هذا الشعب في حالك الجهل حتى يبقى لقمة سائغة في يد العدو يعبث به كما يشاء.

وغيرها من الموضوعات ذات البعد السياسي مثل: التغني بالعروبة، وحدة الشعب والتراب الجزائري، الأصول والأمجاد النقية الصافية، القومية العربية، القضية الفلسطينية...

مراجع المحاضرة:

1- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، (د.ط)، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

2- صالح الجابري: في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005.

3-لقان إبراهيم: تفاعل الشعر والسياسة: قراءة في الشعر الجزائري الحديث. مقال.